

حول الوحدة والتقريب

وبما أن نتائج هذه الأبحاث والدراسات تأخذ كيانها من بوتقة التجارب الفقهية، وأن المادة الخام لهذه الفكرة هي فقهية بحثية في الواقع، فإن هذه الفكرة تستطيع بدورها النفوذ إلى أوساط مجتمع المتدينين بصورة ذاتية وطبيعية، دون الحاجة إلى محاورات جانبية معينة قد تشوبها بعض الملاحظات، وكذلك فإنها تصبح جزءاً لا يتجزأ من المعاشية الفقهية في ذهن المكلفين، والذي يفرض علينا تبني هذا الاتجاه جملة نقاط: أولاً: إذا لم يتم التعامل مع الوحدة ضمن إطار موضوعي فقهي، فعلى أن ننتظر جوا يعود فيه العمل الاجتماعي مفعماً بمظاهر الفقه الرسمي التقليدي المذهبي، ومعه لا يفسح المجال للالتزام العملي بالوحدة كما هو واضح. ثانياً: إن التعصبات المذهبية قد أشعلت في بعض الأحيان لهيب نيرانها إلى حد سبب ظهور العداء والعناد بين المذاهب، ولاشك أن خطورة النتائج السلبية لمثل هذا العداء والعناد تزداد فيما لو لبسنا لباس الفقه، وأصبحت بسبب ذلك جزءاً من الهوية الفقهية، كأن ترى كل طائفة أن التبري من أصحاب المذهب الآخر وظيفة فقهية محتمة عليها. ثالثاً: إذا نظرنا إلى الفقه كمجموعة منظمة وهادفة، فإنه يجب علينا ابتداءً أن نعين ماهو الدور الذي يمكن أن تلعبه الوحدة في هذه المجموعة المتشابكة، وأي نوع من الأحكام علينا أن نتركها جانباً بسبب التزامنا بمبدأ الوحدة المقدم عليها. ولا بأس في الإشارة إلى بعض سمات هذا الاتجاه، وتطبيقها على الحركة التقريبية للسيد العلامة الأمين: الف. أن أصحاب هذه النظرة الفقهية إلى التقريب لا ينادون بتوحيد المذاهب بحيث يذوب بعضها في البعض الآخر، بل يسعون إلى تبين مكانة التقريب في منظومة الفقه الاجتماعي، ويصوغونها بقالب فقهي واضح، ويرفعون تلك الملاحظات والابهامات الفقهية المتوجهة إلى فكرة التقريب